[1]البدعة كالكبرياء: كل قتلاها أقوياء!! -3-

تحـدثنا في العدد الماضـي عن كيف وقع في البدعة العلامة الكبير أوريجانوس، وكيف كان امتحانًا عسـيرًا للكنيسة، هل تتبع الإيمان أم الإنسـان... وكيف نجحت الكنيسـة في الامتحـان، وظـل أوريجـانوس محرومًا إلى اليوم على الرغم من عظمته العلميـة الضـخمة. واليوم نتحدث عن عالم آخر هو:

ترتليانوس

مشكلة ترتليانوس تشابه مشكلة أوريجانوس ويقول "ڤنسان دي لورين" أنَّه كما كان أوريجانوس يحتل المكان الأوَّل بين علماء الكنيسة الذين كتبوا باليونانية، كان ترتليانوس يحتل المكان الأوَّل بين علماء الكنيسة الذين كتبوا باللاتينية.

مَن مِن العلمـاء كـان في نفس مسـتواه ودراسـته وعلمه؟! لقـد تفهَّم كلَّ علوم الفلسـفة ببراعـةٍ فائقـة، وكان له إلمام بكلِّ مدارسـها وتواريخها وفلاسفتها.. وكان عجيبًا في قوَّته على الاقناع.

واسـتطاع أيضًا أن يُفحم كثيرًا من المبتدعين من الغنوسـيين والوثنيين واليهود وأتباع ماركيون وهيرموجونيوس وغيرهم.. وقد وضع كثيرًا من الكتب ومن المؤلفات.

وكان ترتليانوس رجلاً ناسـكًا جـدًا، وزاهـدًا في أمور الـدنيا، وبخاصـة ما اشـتهر عنه من العفـة ومن الصوم. وقد كتب في ذلك عدة كتب أشـهرها كتابه إلى زوجته:

)To my wife(Ad uxorem ثم كتب كتابًا عن البتولية، وكتابه "حث على العفة".

وبدأ ترتليانوس ينحرف ويتأثر بأفكار المانيين، ويقوده تشدُّده إلى أن يُحرِّم الزواج بعد الترمُّل، وأحيانًا يُحرِّم الزواج كليةً.

ومن فرطِ تشدُّده نادى بعدم المغفرة للخطية بعد المعمودية.

وصار زعيمًا لبدعـة الدوناتيين Donatists الـذين هاجمهم القديس أغسـطينوس فيما بعد. وعلى الرغم من علمه ونسـكه وقع في البدعة.

قال عنه القـديس چيروم "ترتليانوس الـذي ليس هو من الكنيسـة". وتحـدث القديس إيلاري أسـقف بواتييه بكلِّ أسـى، عن أخطاء هذا العالِم وكيف حطَّت من قيمته العلمية.

وسـقط ترتليانوس أعظم عالِم كنسـي كتب باللاتينية في جيله. وكان سـقوطه امتحانًا للكنيسة.. ونجحت الكنيسة في الامتحان، وحرَمت ترتليانوس، وفقـد سُـمعته كعالِم كنسـي، وأصـبح معـدودًا بين الهراطقـة والمبتدعين.. حقًا إنَّ البدعة كالكبرياء، كلُّ قتلاها أقوياء.

أريوس

مـا أكثر مـا يمكن أن يقـال عن أريوس كاهن الإسـكندرية، الـذي كان من أفصـح أهل عصـره، ومن أقوى الوعَّاظ في زمانه. وكان كثيرون يلتفّون حوله، ويُعجبون بعظـاتِه، وكـان له تـأثيرٌ عجيب على النـاس حتى تبعه الآلاف، بـل من عظمته في أيامه تبعه كثيرٌ من الأساقفة في تعليمه. بل كان له تأثير على الإمبراطور نفسه حتى أنَّه دافع عنه وطلب أن يُسمح له بالصلاة بعد حرمه.

أيُّ امتحانٍ للكنيسة كان سقوط أريوس في الهرطقة..

كان ولا شك امتحانًا قاسـيًا جدًا من أشد الامتحانات ضـراوة، وسقط كثيرون في هذا الامتحان، واستطاع أريوس أن يدوِّخ الكنيسة زمانًا. ولما مات ميتة دخلت فيها يد الله، أصرَّ أتباعه على العناد والمقاومة، واتعبوا القديس أثناسيوس تعبًا شديدًا استمر مدة.

أريوس هـذا، على الرغم من صـلابته وعناده وقوته، سـقط سـقوطًا عظيمًا، وحرَمه المجمع المسـكوني الأوَّل، وما يزال محرومًا وملعونًا من الكنيسة.

لكن بدعة أريوس لم تضُر الكنيسة بل نفعتها وثبَّتت إيمانها:

قام قديسون كثيرون بالرد عليها، مثل القديس أثناسيوس الرسولي، والقديس إيلاري أسقف بواتييه والقديس باسيليوس الكبير، والقديس غريغوريوس أسقف نيصص، والقديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات. وكلٌّ هؤلاء أثروا الفكر المسيحي بتعمُّقهم في لاهوت المسيح.

إن الكنيسة لم تجامِل البدع والهرطقات ولم تخَف منها، بل واجهتها بكلِّ قوة، بالجدَل وبالتعليم وبالحرمان أخيرًا، وبتثبيت الشعب في الفكر اللاهوتي السليم.

نسطور

كان نسطور أيضًا أحد هؤلاء الأقوياء الذين قتلتهم البدعة. كان رئيسًا لكنيسة القسطنطينية، وكان صاحب عِلم ومعرفة، ورجلاً له مركزه ومكانته. ولم يصل إلى هذا المركز إلا لتفوّقه الكبير.

ومع ذلك سقط نسطور في لاهوتياته عن طبيعة المسيح، ولم تجامله الكنيسة، وحرَمه المجمع المسكوني المنعقِد في أفسس برئاسة البابا الإسكندري القديس كيرلس عمود الدين. إنَّ الكنيسة تقِف حارسة للإيمان المسلَّم لنا من القدِّيسين. وفي أمورِ الإيمان لا تراعي الوجوه، بل تتصرَّف بحزمٍ وقوة.

من له أذنان للسمع فليسمع

---

1. مقال لقداسة البابا شنوده الثالث - بمجلة الكرازة - السنة التاسعة – العدد الثاني والعشرون 2-6-1978م